ويهينونهم ... (ص ١٣١) ، فان المسؤولين في العراق ينامون على حدوده ولو كان بعضهم مفتح العيون ... (ص ٦٦ ـ ١١٩) ، ويتواطؤون مع المهربين امثال ذلك « الرجل السمين صاحب المكتب » (٦٧) الذي يتوجه اليه الفلسطينيون الثلاثة فيصفع احدهم (مروان) ويهينه ويشتم الشرطة ... (٧٢ ـ ٧٣) هذه الشرطة التي تحميه وامثاله من غضبة ضحاياه فتعتقلهم ... (١١٣) .

واذا كان الحاج رضا يملك قافلة من السيارات يسخرها للتمتع الباذخ (رحلة قنص لضيوفه ..) (ص ٩٦) فلن يأتي موظفو الدولة الكويتية افضل حالا منه كما تبديها سمنة (ابي باقر) وكأس الشاي الصغير على الطاولة الفارغة امام احدهم (١٣٦) واهتمامهم الكبير بسخافات يستلذون تداولها (الحكاية المزعومة بين ابي الخيزران وكوكب ...) في الحين الذي تشفق فيه الدوريات على نفسها من الاستطلاع في النهار الشديد الحر ... (١٣٢) وتعبر سيارات الحاج رضا معصومة من التفتيش ... (٩٤).

وفي هذا السياق تأخذ فكرة اسعد ابعادها وهو يمضي تحت الشمس الحارقة على رمل الحدود الاردنية نحو العراق ، ليدور حول الا تشفور متلافيا المركز الحدودي ، ومعه خطر اعتقاله ووضعه في السجن : « تراهم لو حملوني الى معتقل الجفر الصحراوي .. هل سيكون الامر ارحم مما هو الآن ؟ عبث .. الصحراء موجودة في كل مكان ... »(٥٩) .

ان الفلسطيني الذي يهرب من مصائبه يقع بفضل الاوضاع العربية السائدة باشد منها : هذه هي النتيجة التي كانت تعلن عند كل خطوة ابتعاد عن الارض يقوم به هؤلاء الفلسطينيون . ومع ذلك امعنوا في التجربة والمخاطرة حتى الموت .

غرهم ان يعود امثال سعد باكياس النقود من الكويت ، فلم يعودوا يرون او يسمعون شيئا آخر حتى افكارهم . ان ابا قيس يقمع بنفسه تلك الافكار التي تراوده عن مخاطرة السفر (٤٧ ـ ٤٨ ـ ١٣٠) .. ورغم ما يقوله عم اسعد له ، من ان العشرات قد ذهبوا قبله الى الكويت ولم يعودوا بقرش واحد (٦١) يصر على ان هذا الذهاب هو مفتاح مستقبله (٦٢) ... ، وكانت تصلهم اخبار من يقضون بضربة شمس في هذه البلاد .. (١٣١) ، كما أن ابا الخيزران ذاته ذكر للمسافرين الثلاثة ان « عشرة بالمئة على الاكثر » من اولئك الذين سافروا عن طريق المهربين وصلوا الى الكويت ..(٩٩) مع ذلك خاضوا غمار الخطر وانجرفوا فيه .. وقد تمثل هذا الخطر داخل النص بخزان ماء السيارة المقفل عليهم . وحين تكون السيارة كويتية ملك الحاج رضا المسرف في لهوه ، وحين يكون هو الذي اوحى بقصة ابي الخيزران مع كوكب ، وحين يكون موظفو الحدود وراء دخول الفلسطينيين في الخزان ، وهم كذلك الذين ضاعفوا مدة وجودهم فيه تحت الشمس القاتلة ، يتضح مدى الدور الذي يلعبه العنصر العربي في النص الروائي ليساهم في الموت الفلسطيني المرحلي . اذ انه يؤمن الشروط اللازمة لهذا الموت المتوقع . والفلسطينيون الذين لا يموتون ـ عدا عن ندرتهم ـ لا يتوانون عن التخلي عن فلسطينيتهم ذاتها ، بمعنى انهم يتخلون عن المسؤوليات التي يفترضها وضعهم (زكريا) ، او انهم يتصرفون كما تتصرف العناصر غير الفلسطينية ، كالمهربين .. (ابو الخيزران) لذلك تصبح دقائق التأخير الاحدى عشرة هي البعد الزمني الممثل لبعد التدخل العربي ودوره الغالب في هذا الموت الفلسطيني .